الزواج

تلخيص قصة للروائي الانكليزي « ولز »

بقلم يوسف حنا

ان قصة الزواج من اروع آثار ولز القصصية ، فان سألتني وما سرُّ هذه الروعة اجبتك ان سر ذلك هو هذه الدقة التي يعالج بها الكاتب تحليل مشكلات الحياة

ومرجريت بوب فتاة في العشرين من العمر مستوفاة شرائط الانوثة الحقة من بهاء طلعة وفتوة جسم وتلهب عاطفة وتوثب شعور

هي انثى في كل مستقبل نظر فيها ، وانثى في كل ما تختلج به عواطفها المشبوبة — يقابل هذه الانوثة الوافرة فيها تربية علمية متينة آخذة بأوفر حظ من حب الاستطلاع والميل الى المغامرة ، ووعي الشخصية . وكانت فتاتنا تلك طالبة في احدى جامعات انجلترا

رآها « ما جنست » الروائي الذائع الصيت الوافر الثروة ، فاحبَّها وعرض عليها الزواج فرفضت

ولم يكن ذلك الرفض يروق اسرة مرجريت ، فلقد كان ابوها رقيق الحال ، كثير العيال ، فتدخلت عمتها في الامر واغرت الفتاة بثروة الطالب وشهرته العالمية ، فرضيت ، على ان تكون الخطبة تجربة . . . لا اكثر

اسرف الخطيب في الترضي والبذخ ، واسرفت عائلة الفتاة في الملاحظة والعناية ، ووقفت مرجريت بين الطرفين موقف الحيرة والتردد

كانت الانثى في مرجريت تجد في ثروة الخطيب ونباهة اسمه ، ما يرضي ناحية من نواحي الانوثة فيها ، الا ان تربيتها العلمية وتطلعها الى المغامرة ، ووعيها لشخصيتها ، لم تكن تجد في هذا الخطيب ، ما يكفي لارضاء ما يثور في نفسها من منازع واشواق اخرى ، على انها مضت في الخطبة قائمة ، وسمحت للخطيب ان يقبلها اكثر من مرة . . . .

في عصر يوم رق نسيمُه وصفت شمسُه ، اجتمعت اسرة بوب في حديقة المنزل يتناولون الشاي فاسترعى اسماعهم هدير طيارة مقبلة نحوهم وابصروها تترنح كالسكران ثم ما لبثت ان

سقطت بين الاشجار هناك ،فاسرع القوم يتحرون خبرها ؛ وكانت مرجريت اسبق الجميع اليها

كان الطيار واسمهُ « ترافورد » شابًّا في السادسة والعشرين من العمر ، جميل الطلعة ، قوي الجسم ، بادي معارف طيب العنصر يميل الاصل ، فلا شيء من الرضوض يسيء إليقظتهُ عن الحركة ، فوثب من داخل الطيارة خفيفاً وطلب الى مرجريت بلهجة ودية بسيطة ان تعينهُ على اخراج الراكب الآخر ، فلبّت الطلب بغبطة رائدة ، وعزم وقوة لا يعهدان في امرأة

﴿ ولز ﴾

H. G. WELLS

نُقِل الراكب المرضوض ، واسمهُ السرسلمون من كبار رجال المال ، الى اقرب مستشفى ، وتخلف ترافورد ليشرب الشاي مع افراد الاسرة وليخاطب مكتب السر سلمون لكي يرسلوا من يتولى نقل الطيارة المحطمة

كانت نزعة ترافورد العلمية وتعسيتهُ الحرة البسيطة بحكم تلك النزعة عنها ، كافيةً لتمهد لهُ سبيل الاختلاط بالاسرة كأنهُ واحد منها . فلما انتهوا من الشاي ذهب الى اقرب فندق هناك وهو مشغول بخيال مرجريت ، كما خلّفت مرجريت مشغولة بخياله هو

واضطر ترافورد ان يقضي مدةً ما في الفندق حتى يستردَّ قوتهُ وكان يتردد في تلك الفترة على منزل بوب ، وقد فهمت الاسرة من ترافورد انهُ استاذ في العلوم ينحصر عمله في بحث

الفتى الكامنة في المادة ، وانهُ كان يسوق صيارة السر سلمون على سبيل المغامرة ، وقد ذكر لمرجريت مرة انهُ كان احد ممتحنيها في الجامعة ، فتذكرتهُ وزادت تنبهاً لهُ وتعلقاً بهِ

على هذا الاساس من توافق السن والتربية العلمية والنزعات النفسية ، قام التعارف بين ترافورد ومرجريت . الا انهُ لم يتعدَّ تعارف الارواح دون ان تتاح للمحبين فرصة يتفاهمان فيها ، ويكشف الواحد منهما للآخر عن سريرة نفسهِ وذات صدره . واخيراً سنحت تلك الفرصة السعيدة في حديقة المنزل ، ولم يكد يختلي المحبان حتى انجذب الواحد منهما الى الاخر بكل نفسهِ ، وبكل جسمهِ . . . . ايضاً ، وقد تصادف دخول المستر بوب الى الحديقة في حين كان فيد ترافورد ومرجريت متعانقين . . .

ثار المستر بوب لهذا الحادث وأهان ترافورد وطلب اليهِ ان يخرج من البيت الذي احسن لهُ فأساء هو اليه . اما الفتاة فلم تجد في هذا الحب غضاضة ما . . . أليست انها قبلت خطبة «ماجنت» على انها تجربة . . . فما الذي يمنعها ان تحبَّ من تشاء والزواج منه ؟

اشتد الجدل بين المستر بوب وبين ترافورد ، وعبثاً حاول الاخير ان يستقرَّ معه على اساس من التفاهم ، وأخيراً اتخذت الفتاة جراحة الموقف بأن اعلنت انها تبلغ الحادية والعشرين بعد شهرين ، وانها حين تبلغ ذلك السن تكون مطلقة الحرية في التصرف بشؤونها الخاصة كما ترغب . . .

عاد ترافورد الى معمله وانهمك في بحث القوى الكامنة في ذرات المادة ، وكان خيال مرجريت يتردد بين كل حين وآخر من عالم البحث والاستقراء ، الى عالم العاطفة والحب . وفي صباح احد الايام اوقظ ترافورد من انكبابه الكلي على ميكروسكوبه بدعوة تليفونية . . . فترك معمله ساخطاً . ولما اخذ السماعة لم يستطع ان يتبين صوت المتكلم فطلب اليهِ بتأفف ان يفصح عن اسمه وعما يريد حتى ينتهي ويعود الى عمله . . . وأخيراً اتضح لهُ ان المتكلم مرجريت لتعلن لهُ انها بلغت الحادية والعشرين صباح ذلك اليوم

كانت هذه هي المرة الاولى التي الهت فيها المرأة في مرجريت ، الباحثة . . . في ترافورد عن عمله ، وصرفته عن ميكرسكوبه كي يفكر بها ويستقبل حياتها

قطعت مرجريت ما كان موصولاً بينها وبين «ماجنت» وانصرفت الى حبيبها وانتهت الامور بزواج ترافورد من مرجريت ، كما افلحت المستر بوب في تزويج ماجنت من ابنتها الصغرى « دافني »

كان ترافورد يتقاضى بحكم استاذيته مبلغ ٣٠٠ جنيه سنوياً ، وكان له دخل آخر من ماله الخاص يبلغ ٣٠٠ جنيه اخرى . وليست الستمائة جنيه ، بالمبلغ الذي يتسع لحياة البذخ والاسراف . وقضى العروسان شهر العسل في ايطاليا فكانا هناك محط انظار الناس ، فحيثما نزلا يسترعيان الابصار بجمال شبابهما وتوافق امزجتهما

وكانت الآنسة في مرجريت مجموعة نوازع غير واعية لاخطر لها في قيادة حياتها الظاهرة ، اما الشخصية الواعية فيها اكبر الوعي فكانت تلك الناحية المثقفة الميالة الى المغامرة والتنعم بالحرية والعمل المنتج والشعور بالجمال اينما وجد ، فلما تولت مرجريت ادارة منزلها وماليته اظهرت من العجز ما كاد يودي بالقليل الذي كان يملكه ترافورد

وكان الرجل في ترافورد مجموعة نوازع غير واعية هي الاخرى ، اما شخصيته الواعية فهي تلك النفس الميالة الى البحث وافناء العمر في المعمل للكشف والاستقراء واستكناه اسرار قوى الطبيعة الكامنة في المادة وذراتها ، فهل يتساوق هذا التخصص وحياة الزوجية ؟ ومسؤولية العائلة ؟ . . .

اوحال الحياة او هي حقائقها الواقعة ، اخذت تجذب مرجريت وترافورد من عالمهما الشخصي ، الى عالم ضروريات الحياة وتكاليفها . كان كلا الزوجين محبًّا للآخر اشد الحب الا ان تكاليف الحياة الزوجية كانت تقيم حائلاً بين حياة الواحد منهما وبين حياة شخصيته الواعية ، فكان كلا الزوجين يسعى لازالة هذا الحائل . لم يكن البيت وتكاليفه ليرضي نوازع مرجريت نحو الحرية والمغامرة ، فساهمت في حركة النساء المطالبات بحق الاشتراك في التمثيل النيابي ، الا ان تلك الحركة الكلامية لم تكف حاجة مرجريت النفسية فظلت تشعر بشيء ينقصها وليست تعلم ما هو

اما ترافورد فقد وجد ان مسؤولية البيت وتكاليف الحياة العائلية لا يتفق والانقطاع للبحث العلمي لوجه العلم . ثم انه رأى ان ثروته القليلة تتضاءل امام مطالب حياته الجديدة فاضطر الى ترك المعمل والانصراف عن البحث العلمي الخالص ، واشترك مع السر سلمون في احد مشروعات الكاوتشوك واستغل مواهبه العلمية فنجح وصار ذا ثروة طيبة لا يخشى معها اسراف مرجريت ، وقلة تدبيرها . فتوافر لترافورد ومرجريت اسباب السعادة الزوجية ، الروحية منها والمادية ، فهل تمت لهما السعادة الشخصية ؟

واقبل ترافورد على مختلف الاعمال المالية والصناعية ففاز بالنجاح في كل ما عمل ، واشتركت مرجريت في المطالبة بحقوق المرأة النيابية وبغير ذلك من الاعمال ، فهل وجدت نوازع الزوجين سعادتها المنشودة في هذا كله ؟ هل ساعفت الحياة الزوجية الشخص الواعي في ترافورد والشخص الواعي في مرجريت ليتقابلا وجهاً لوجه ، ويسيرا في طريق ممهد خال من الغموض وعثرات التنافر ؟

كان كلا الزوجين يحس ، بالرغم من شدة حب الواحد منهما للآخر ، ان هناك ستاراً ما يزال يفصل بين شخصيتيهما ، فهل من سبيل الى رفع ذلك الستار ؟

الحياة الزوجية اقصت ترافورد عن معمله وعن عالمه العلمي الصغير الذي كان يستجيب

لمنازعه الغريزية خير استجابة ، وحرمت مرجريت الشيء الوافر من حريتها الشخصية ، ولكن كلا الزوجين محب للآخر ، راغب في أن يكشف رفيقه الاكتشاف الحق ، فهل من سبيل الى ذلك ؟

ليست حياة لندن مما يساعد على ذلك الاكتشاف العظيم ، فأين ينشدانه ؟

اين ينشدان الله ؟ بي الله ! وهل تعارف الروح الى الروح ، في عالم خال من اوحال الحياة وأدرانها الا مقابلة لله وجهاً لوجه ؟

تحمل ترافورد ومرجريت الى الاصقاع النائية في لبرادور ، وتركا الاولاد في عهدة والدة ترافورد ، وودعا لندن وحياتها الصاخبة لينعما في تلك الاصقاع النائية بالخلوة التامة وليتفرغا للتفكير ، وكم قد كانت حاجة ترافورد شديدة الى التفكير والى نفض حياة الكلام عنهُ ؟

على بعد ٢٠٠ ميل من آخر اثر من آثار العمران في لبرادور ، اقام ترافورد ومرجريت «كوخاً» ليقضيا فيهِ سنة بعيدين عن الناس وعن كلامهم . . . وما أكثر ما يتكلم الناس

هناك في تلك العزلة النائية والتفرغ التفكير ، وفي رحلة مغامرة ، كان الواحد من الزوجين يزداد قرباً من الآخر في كل يوم يمر بهما ، وكان الله — وهو الفكرة المتمثلة في التعارف الروحي ، والتحلي من الجمال ، والسلام في العيش — ينكشف لهما اكثر فأكثر ، وكان هذا الشعور يبعث في نفسيهما غبطة عميقة الاثر

ولما اقبل الشتاء بثلوجه وبرده ، كان ترافورد ومرجريت كثيراً ما يقضيان اياماً طويلة لا يخرجان فيها من الكوخ

وفي صباح احد الايام خرج ترافورد للصيد على ان يعود عند الظهر ، واشتغلت مرجريت بتهيئة الطعام — ثم جاء الظهر ومضت ساعة بعد ساعة ولم يعد ترافورد

قلقت مرجريت اي قلق ، فلما طال بها الانتظار اخذت بندقيتها وشيئاً من الطعام والشراب وحوائج اخرى وخرجت تفتش عن زوجها

جهدت في البحث عنهُ غير طائل ، وقد اقلقها اشد القلق ان الجو كان ينذر بكل سوء ، الا ان عزيمتها لم تضعف ومضت تبحث في جهد وعناء وتطلق عياراً ناريًّا هنا وآخر هناك على أمل ان يسمعها ترافورد فيجيب بطلق مثلهُ ، وبعد طول البحث والجهد والسعي ، اطلقت عياراً ناريًّا فما لبثت ان سمعت الجواب فتابعت السير نحو مصدر الصوت حتى وصلت الى حيث كان زوجها مطروحاً بين الثلوج والدم يسيل منهُ وامامهُ وحش مقتول

كان صراع ترافورد مع ذلك الوحش ، والدم الذي سال منهُ ، والكسر الذي اصابهُ في رجله ، وشدة البرد ، قد اضعفت قواه اي ضعف ، فأتى لمرجريت ان تعود به الى الكوخ

اسعفت مرجريت زوجها بكل الوسائل الممكنة ، فغسلت جروحهُ بالكونياك ، وربطتها بقطع من قميصها الذي مزقتهُ وضمدت به جروح زوجها وهو ما يزال حاراً من حرارة جسمها . . . ولكن كل هذا لم يكن ليتغلب على تعبه كان ترافورد ضعيفاً لا يقوى على السير ، والكوخ بعيد ، فهل من سبيل الى الخلاص ؟

بلغ اليأس في نفس ترافورد مبلغاً عميقاً فألح على مرجريت ان تتركه يموت لوحده وتعود هي الى الكوخ حتى تنجو من الموت برداً ، ولكن تلك النفس القوية ابت ان تترك زوجها فتكشفت عن صلابة وعزم وجرأة ، لا تعهد في غير الابطال من الرجال

حملت مرجريت زوجها الى صخرة هناك ووضعته في مأمن من الرياح والثلوج ثم جمعت بعض الاحطاب واشعلتها حتى يتدفأ بها ثم تركته وعادت الى الكوخ لتحضر ما يلزم للمبيت في العراء

ضلت مرجريت طريقها الى ترافورد في عودتها من الكوخ بسبب الظلام ، ولكنها ثابرت على اللف والدوران . . . والسعي والتيقظ . . . حتى اهتدت بعد عناد طويل ، فدثرت زوجها بالغطاء الثاني وقضيا الليلة في مأمن من عناصر الطبيعة

***

وفي الصباح صنعت شبه مزلقة من الاغطية والاغصان جرّت عليها ترافورد الى الكوخ وهناك قضى زمناً فاقد الوعي من اثر الحمى التي انتابته ، وكثيراً ما كان يهذي ويبوح باشياء كانت تجهلها مرجريت ، الا انها ساعدتها على تفهم نقاط الضعف التي كان يشكوها ترافورد في زوجته

شفي المريض بعد طول المرض ، وعادت الى الزوجين طمأنينة الحياة ، وشرعا يدركان مبلغ التغير الروحي ، الذي دخل على نفسيهما من جراء هذه الرحلة المغامرة في سبيل اكتشاف الله ، فكان يجلس الاثنان يتكلمان . . . ويطيلان اطراف الحديث ، ولكنهُ لم يكن كلاماً فارغاً لا طائل تحتهُ ، من طراز كلام الناس في لندن . . . وانما كان كلاماً ينظمان به درر مكتشفاتهم الروحية التي وقعا عليها في تلك الرحلة المباركة فهل من مزيد يتطلبانه ؟

ارضى كلا الزوجين منازع نفسيهما من تطلب المغامرة ونشدان الله في طالم ناء عن الصخب والفوضاء ، فحصلا على ما يبتغيان ، فهل من رغبة جديدة بعد ذلك ؟

بلى — هناك الاولاد ! ولم تكد مرجريت تصل الى اول مدينة في عودتهما من الاصقاع الثلجية حتى ابرقت تسأل عن الاولاد

لك الله ايتها الحياة ! كم تغرين الناس بالاولاد في سبيل قضاء مآربك من حفظ النوع